

المعنة

* السنة الثالثة *

* الجزء السابع *

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

* الاسكندرية — مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — ذو الحجة ١٣١٩ *

مشاهير المتقدمين والمناخرين

تاريخ فيكتور هيغو

* مقالة تهديها الجامعة الى روحه الكريمة ونفسه العظيمة *

وهي عبارة عن تاريخ فرنسافي قرن كامل يجد فيه القاري مزيجاً من التاريخ والادب والشعر والفكاهة كانه كتاب مسنفل مختصر . وقد عانينا مشقة كتابته بهذا الاسهاب لمناسبة احتفال الجمهورية الفرنسية في الشهر الماضي بذكر مرور مائة عام على ولادة هذا الرجل العظيم . وهذه الترجمة اول ترجمة كاملة صحيحة تنشر في اللغة العربية عن هذا الانسان الذي يجب ان لا يجهله انسان

خطب المسيو برانديس المؤلف الدائم في هذا الشهر في باريز فقال : ان ظهور اعظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء . فان هؤلاء الرجال يرقون شأن البشر ويزننون الحياة بما يتدعون فيها . واي رجل عاقل لا ينسى برهة مصائب الحياة ومصاعبها اذا اخذ كتاباً من كتب شكسبير او كوث وصار يطالعها بامعان تحت ظل صفافة على شاطئ نهر او تحت ظل سنديةانة في اعالي الجبال . واذا كان هؤلاء المؤلفون المبتدعون هم بهجة الارض وزينتها فمن مصلحة الحكومات والامم ان يسهلوا لهم سبيل الظهور ويمهدوا امامهم

طريق الحياة لثلا نقتل مصاعبها ما خصتهم به الطبيعة من القوات والقوى . ثم قال ان الحكومات الملكية افضل من الحكومات الجمهورية من هذا القبيل لانها اصلى لنشأة اعظم الرجال فيها

وليس غرضنا من نشر هذا القول الاشارة الى خطاءه او صوابه وانما غرضنا ان نأخذ منه هذه العبارة : ان اعظم الموء لفين الذين يستحقون ان يدعوا كذلك هم بهجة الارض وزينتها في هذه الحياة ولولاها لما كانت الحياة على هذه القبضة الترابية التي يسمونها كرة ارضية جميلة كما هي الآن . ولذلك ننشر في كل جزء عرف فضائلهم في صدر المجلة وحسبك لتأييد هذا القول ان تنظر الى رجل واحد احتفلت الجمهورية الفرنسية في الشهر الماضي بتذكار مرور مائة عام على ولادته . ونريد به فيكتور هيغو الشاعر الفرنسي المشهور . فان هذا الرجل ملأ الارض شرقاً وغرباً من تأثيره فكانه شمس انارت العالم كله او كانه عالم مفرد انارته شمس المواهب السماوية . ولذلك راينا ان ناتي على ترجمة هذا الشاعر بالاسهاب الواجب لرجل مثله ونهديها الى نفسه الكريمة التي هي الآن حيث كان يلد لها الارتفاع في اعالي السماء فوق الكواكب والنجوم

* تاريخ صباه * هو فيكتور ماري هيغو ولد في ٢٦ فبراير من عام ١٨٠٢ وتوفي في ٢٢ مايو من عام ١٨٨٥ . وقد قال عن نفسه في احدى قصائده عن القرن التاسع عشر « لما ولدت كان عمر هذا القرن سنتين » اما ابوه فهو الجنرال هيغو واما امه فهي صوفيا تريبوشه كريمة احد اصحاب البواخر في ننت . ومنهم من يزعم ان اياه كان من اسرة قديمة من اللورين نالت رتبة الشرف في عام ١٥٣١ ولذلك كانوا يلقبون اياه « الكونت هيغو » ويلقبونه هو « الفيكونت فيكتور هيغو » . وقد اثبت فيكتور هيغو هذا النسب لنفسه في كتاب عنوانه « ترجمة فيكتور هيغو بقلم احد رفاقه » ولم يكن هذا الرفيق سوى مدام هيغو نفسها التي كتبت هذا الكتاب وزوجها املاه عليها . على ان قوماً آخرين ينكرون هذا الزعم ويقولون ان جد فيكتور هيغو كان نجاراً في ننتسي وكان يدعى « يوسف هيغو »

وقد ولد فيكتور هيغو في مدينة بيزانسون . وكان له اخوان اكبر سنًا منه وهما آيل وواجين . ومن غريب امره انه كان شبيهًا بنيوتن من حيث ضعف البنية في صغره . فقد كان هزيل الجسم نحيفًا اصفر اللون ولكنه كان فوق جسمه راس كبير كان كل قوته

قد صُرفت اليه وُخزنت فيه . ولذلك كان بعضهم يضحك من ذلك الجسم الصغير
والرأس الكبير

عائلة هيغو

وكان هيغو ابو صاحب الترجمة عزيزاً على جوزيف بوناپرت شقيق نابوليون وقد ترقى
في جيشه وتحت امرته وكان مضطراً الى الانتقال من بلد الى بلد طوعاً لنظام خدمته . فلم
يقم في بيزانسون سوى بضعة اشهر ثم انتقل الى مرسيليا فكورسيكا فجزيرة الب فجنوه . وكان
ارساله الى جنوه في عام ١٨٠٥ فكرهت زوجته ان تضجه الى تلك الجهات الغربية فعادت
باولادها الى باريز وارسلتهم الى مدرسة في شارع مون بلان . ولكن زوجها لم يلبث ان
جعل حاكماً لمقاطعة افيلينو في ايطاليا فاستدعى زوجته واولاده لظنه انه التي عصى التسيار
في تلك الجهات . فسارت مدام هيغو باولادها الى ايطاليا . غير انه لم يستقر بها المقام حتى
جعل جوزيف بوناپرت ملكاً لاسبانيا وكان ذا ميل الى هيغو ابني صاحب الترجمة كما تقدم
فاستدعاه اليه . فسار هيغو الاب الى اسبانيا وعادت زوجته باولادها الى باريز فادخلتهم الى
مدرسة في شارع سنت جاك انشأها رجل يدعى المسويدي لاريفير وكان قبل الثورة
راهباً فلما شبت ناز الثورة تزوج وعمد الى التدريس . وقد زعم بعض مترجمي هيغو ان هذا
المعلم هو الذي بث في نفسه من صغر حب الجمهورية حباً شديداً ظهر بعدئذ في كتاباته
ظهوراً عظيماً . وكان يومئذ عمر هيغو الابن سبع او ثمانية سنوات . فاذا صح ذلك الزعم
كان اكبر دليل على اهمية التعليم الابتدائي وصدق من قال : ان العلم في الصغر كالنقش
في الحجر .

وفي عام ١٨١١ رُقي ابو هيغو من رتبة كولونيل الى رتبة جنرال وجعل من ياوران
ملك اسبانيا وعين مديراً لمائة الملك والياً لمقاطعات افيله وسكوفيه وصوريه . فارسل
هيغو واستقدم زوجته واولاده الى اسبانيا . ولما قدمت امرته ادخل اولاده الى مدرسة
النبلاء الاسبانية فكان التلامذة الاسبانيون يسيئون معاملتهم حسداً لهم لانهم كانوا
غرباء بينهم . ولكن لما كانت سنة ١٨١٢ اضطربت حال الفرنسيين في اسبانيا وخشي
هيغو من خروجها من ايدي دولته فابقى لديه ابنه آبل واعاد زوجته وولديها الآخرين
الى باريز خوفاً عليهم من فتنة واضطراب . وكان عمر هيغو الابن حينئذ عشر سنوات
وقد زار في اثنائها مع اسرته رومه ونابولي واسبانيا فافادته هذه الزيارات كثيراً خصوصاً
زيارة اسبانيا التي ابقت في قريحته وعقله آثاراً اسبانية لم تمح منها . وقد وجد شارحو

كتبه في كتاباته ما لا يحصى من التعابير والمواضيع والصفات الخاصة باللغة الاسبانية ولما عادت مدام هيغو بولديها الى باريز اعادتها الى مدرسة الراهب الذي تقدم ذكره . وكانت مدام هيغو من النساء اللواتي يستحسنن اراء فولتير ورسو فكرت ولديها يطالغان كل الكتب التي كانت تقع في ايديها من مكتبة جار لها حتى ما كان منها غير ادبي . فاقبست الولدان من هذه المطالعة المستمرة المتنوعة كثيراً من المبادئ الابتدائية المختلفة . وربما كانت بذور الحرية القيت في نفس فيكتور من هذه المطالعة لا من مبادئ الراهب الذي تقدم ذكره

وفي عام ١٨١٥ عاد الجنرال هيغو الى باريز . وكانت اخلاقه لا تنطبق على اخلاق زوجته فاشتد الاختلاف بينهما في هذا العام حتى انفصل عنها واخذ ولديه منها بناءً على حقوق الاب في فرنسا . ثم ادخل هذين الولدين في مدرسة كورديه فاقاما فيها الى عام ١٨١٨ ثم اخذا يتلقيان الفاسفة والرياضيات والطبيعات في مدرسة لويس الكبير فظهر منها استعداد تام لاقتباس العلوم والفنون . ولما بلغ فيكتور هيغو صاحب الترجمة السنة الرابعة عشرة بدأ بالنظم وكان ذا ميل فطري اليه

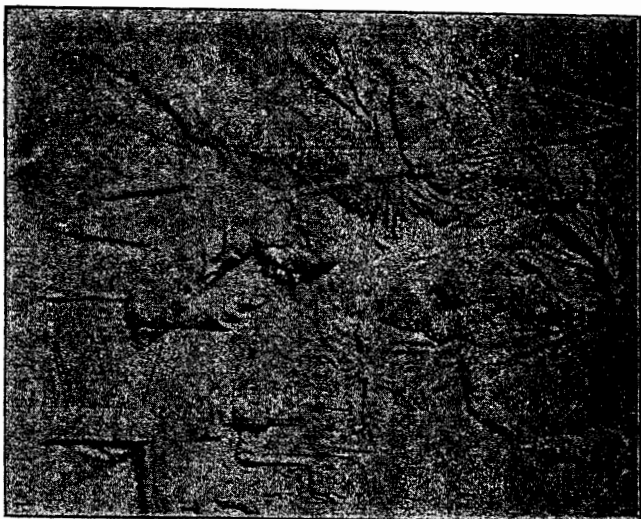
* *

❖ بدء حياته الادبية ❖ واول منظوماته رواية دعاها « ايرتامين » واخرى دعاها « اتيليا » ثم كتب رواية عنوانها « اينس دي كاسترو » وكلها صنع طفل في عالم الكتابة ولعلها لم تنشر . وكان الشاعر فرجيل اللاتيني احب الشعراء اليه فترجم بعض ابيات من ابياته .

الفني هيغو والاكاديمية

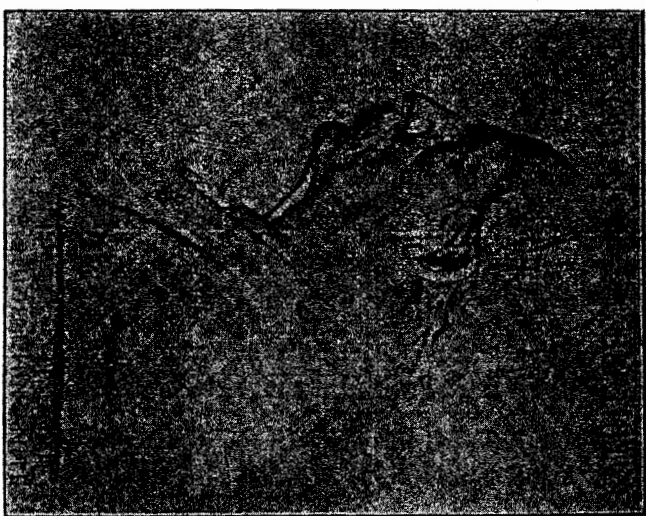
ولكن كل ذلك لم يدل عليه الدلالة الواجبة . ففي ذات يوم فتحت الاكاديمية الفرنسية باباً للشعراء والكتاب للباراة في موضوع « منافع الدرس والمطالعة » . وكان عمر فيكتور هيغو يومئذ ١٥ عاماً . فخطر له الدخول في هذا السباق لان نفسه الكبيرة في جسمه الصغير كانت تحدته بكل امر كبير . وكان يقرأ منظومات عصره فيجدها جافة ناشفة بازاء كنز الشعر والموسيقى الذي كان في باطنه يتموش شيئاً فشيئاً . فنظم قصيدة طويلة في هذا الموضوع ووقعها بهذا التوقيع « فيكتور هيغو وعمره ١٥ عاماً » ثم انه اخفى هذا الامر عن كل انسان الا عن معلمه لانه رام مفاجأة رفاقه واهله بفوزه اذا فاز وكتمان فشله اذا فشل . فجعل معلمه التلامذة في ذات يوم يرون عن باب الاكاديمية وبينما كان التلامذة

المدالية النضبية التي احتفلت الجمهورية الفرنسية بأحداثها اليه



✽ يرتلو امام معمله ✽

وفوقه الوطن بكل العمل والحقيقة تتبرطر به



✽ رسم المسير يرتلو ✽

ونقته : التركيب الكيميائي . العلم يرشد الانسانية



✱ الفريد نوبل واضع الجوائز ✱



✽ ولیم شکسپیر ✽

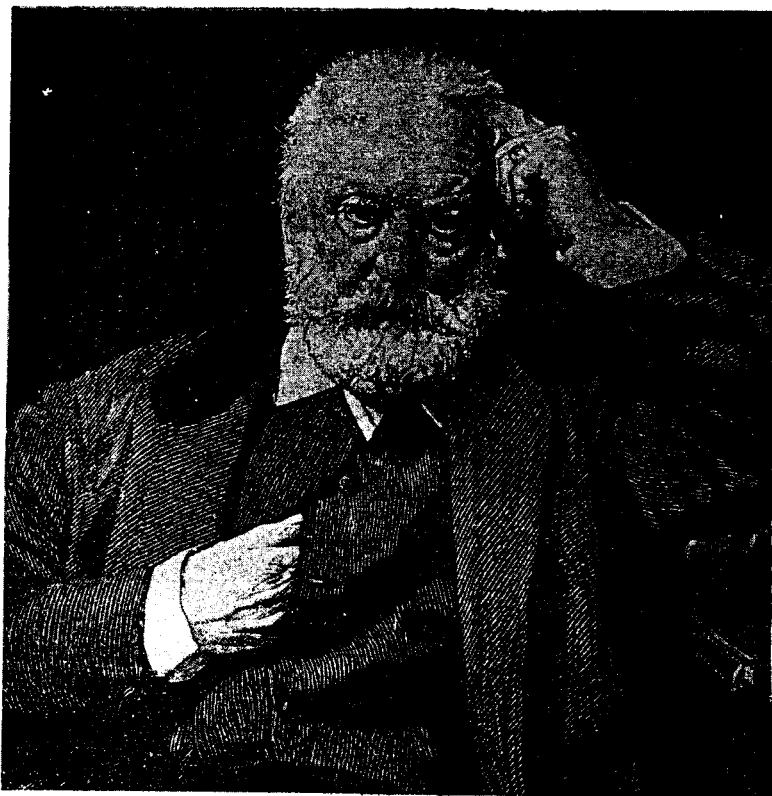


✽ فرنسیس باکون ✽



✽ عودة المسيح الى اورشليم ✽

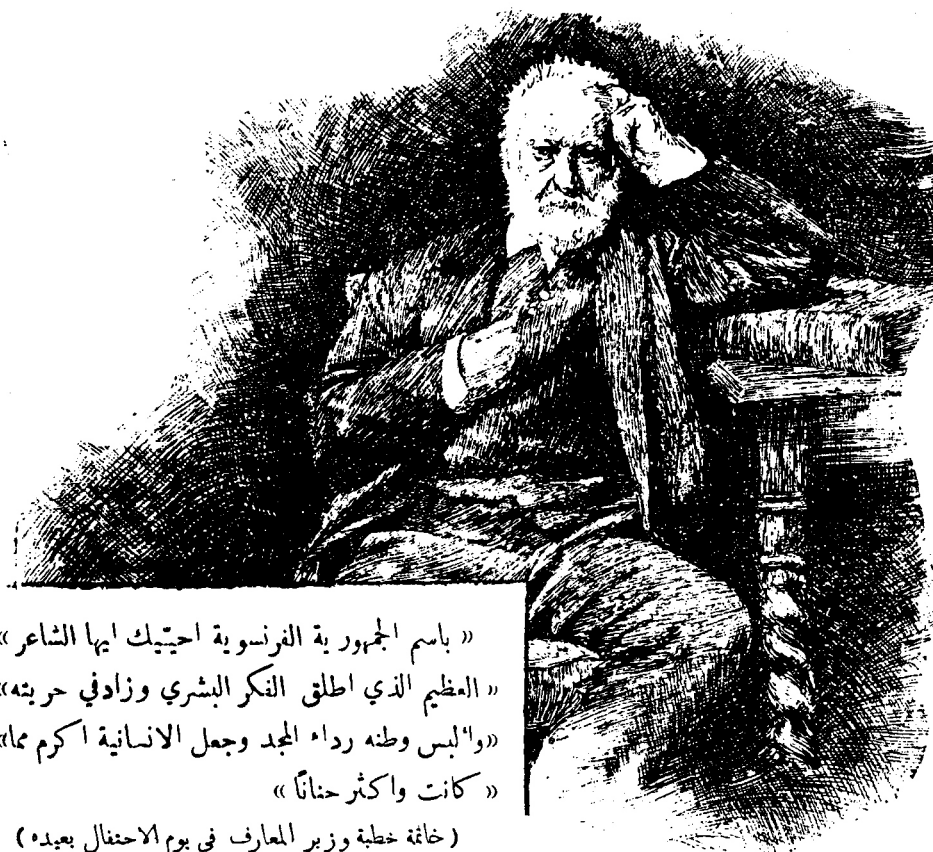
احتفال الشعب بهودته ودخوله به الى المدينة المقدسة في وسط الاحتفال . وهو عيد الشعانين عند النصارى



پرو فیکتور ہیگو فی اواخر عمره ❀

Victor Hugo

(اسمہ بخط بدہ کا کان بوقع بہ علی رسائلہ)

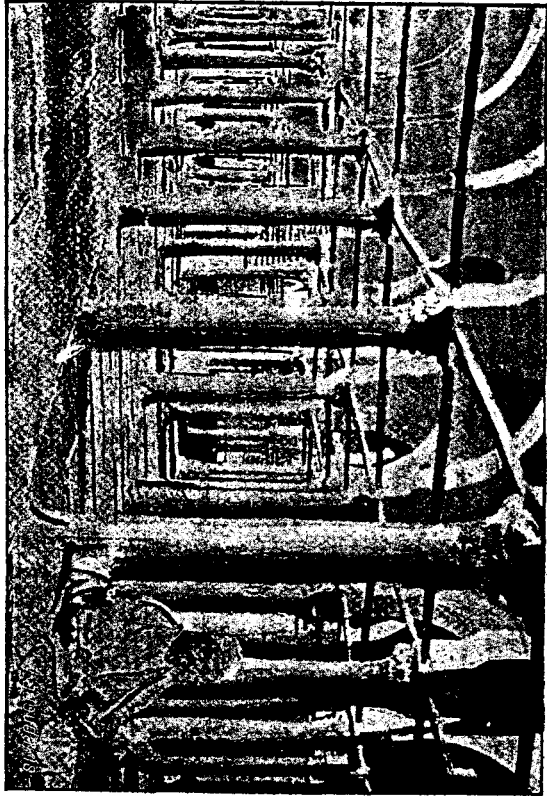


« باسم الجمهورية الفرنسية احيتك ايها الشاعر »
« العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته »
« واليس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما »
« كانت واكثر حناناً »
(خاتمة خطبة وزير المعارف في يوم الاحتفال بعيده)

﴿ رسم آخر لفيلكتور هيگو وهو رايبض ربضة الاسد ﴾



﴿ التلامذة والنسوة يُنزلون السيد المسيح عن الصليب ﴾



تمثيل ابن رشد في أحد جوامع قرطبة منصوصاً بالداخلين والمخرجين

مشغولين بالحديث اسرع الفتى فيكتور ومعلمه فدخل الى الاكاديمية كالبرق ووضعها تلك القصيدة في موضع المراسلات ثم عادا وهما يضحكان وقلب الفتى فيكتور برقص طرباً واملاً .

وبعد ايام كان فيكتور هيغو يلعب في دار المدرسة واذا باخيه الكبير آبل قد دخل يطلبه . فلما رآه صاح به آبل : تعال ايها الابله . من طلب منك ان تذكر سنك في القصيدة التي قدمتها الى الاكاديمية . يالك من حمار . فان الاكاديمية حسبت ان ناظم القصيدة يهزاء بها بقوله ان سنه ١٥ سنة ولذلك حرمته من الجائزة واكتفت بذكر اسمه بين الفائزين . ولولا ذلك لكانت الجائزة لك

وكان آبل يتكلم وهو يضحك وقلبه ممتلىء سروراً . اما فيكتور هيغو فلو نظر ناظر الى قلبه في ذلك الحين لراّه يحقق حقوق فراشة امسكت من احد جناحيها . وهذا اول فوز ناله فيكتور هيغو في عالم الادب . ومنذ هذا الحين صار معروفاً لان مجرد ذكر الاكاديمية كاتباً بين الفائزين كان سبباً في اشتهاره . وكان هذا الامر شرفاً يصبو اليه كثيرون من الكتاب والشعراء . فكان الاكاديمية مجلس ادبي عال يوزع الشهرة على مستحقها من رجال الشعر والادب

هيغو والملكية

ومنذ هذا الحين انصب فيكتور هيغو على النظم والكتابة فنظم في عام ١٨١٩ قصيدة موضوعها « فوائد التعليم العملي » وقدمها الى الاكاديمية فذكرت الاكاديمية ناظمها بين الفائزين ايضاً . ثم نظم بعد ذلك قصائد موضوعها : عذارى فردون . واعادة تمثال هنري الرابع . وموسى في النيل . والتلغراف . فارتاح الجمهور الى منظوماته واعترف له بالشاعرية . اما انصار الملكية فانهم كانوا يصفقون طرباً لكل قصيدة من قصائد هذا الفتى لانهم وجدوا في كلامه المتمق وعباراته الانيقة وعواطفه التي تلهيها الوقفات بين الشؤون الملكية لوصف احوالها السامية ما جعلهم يؤمنون ان ذلك الشاعر النابغ بينهم سيكون في المستقبل شاعرهم وحامل لواء مجدهم . ذلك ان فيكتور هيغو كان يومئذ ملكياً مجتاً . وكان لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا في ذلك الزمان وقد دخلها بعد معركة واترلو واسر نابليون الاول . وكان شاتوبريان الكاتب المشهور يدير يومئذ جريدة « الكونسرفاتور » اي المحافظ وهي جريدة كاثوليكية ملكية غرضها الانتصار للملكية . فانشأ فيكتور هيغو مع اخويه جريدة سماها « المحافظ الادبي » وجعلها بمثابة ملحق لجريدة شاتوبريان . وكان شاتوبريان

يسميه « الفتى العظيم » . وقد دلّ فيكتور هيغو على هذه العظمة منذ صغره فانه كان يحور جريدته « المحافظ الادبي » وحده مستتراً تحت اسماء مختلفة فكان يكتب فيها في التاريخ والادب والشعر والروايات في آن واحد . وفي ذات يوم نشر في جريدته قصيدة في موت الدوق دي بري فراقت هذه القصيدة للملك ومنحه خمسمائة فرنك جائزة له . وفي عام ١٨٢١ انضمت جريدة « المحافظ الادبي » الى جريدة « اساطير الادب والفنون » ولكن فيكتور هيغو خرج منها

زواجه بسبعائة فرنك

وفي هذا العام توفيت امه وكان يحبها حباً شديداً . فجعلت وفاتها فراغاً حوله فاخذ يفكر بالزواج . وكان فيكتور قد عرف في صباه فتاة تدعى مدموازل ادال فوشه وكان يحبها اشد حب . وقد كانت الفتاة تحبه ايضاً الا ان اباهما لم يرض عن هذا الحب لان فيكتور كان فقيراً لا يملك شيئاً . اما ابوه فانه افترن بعد وفاة زوجته بالكونس دي سالكانو ولذلك غضب فيكتور هيغو من عمله وابتعد عنه . على ان ذلك لم يكن يوقعه في الياس بل انه لجاء الى صناعة الادب يفرج بها هممه ويطلب منها خبزه . واكرم بها من صناعة تسلي الانسان العاقل عن جميع هموم العالم ومصائب الحياة وتبني له في صميم قلب الانسانية ما يريد بناءه من الآثار الخالدة

فنشر الفتى هيغو في عام ١٨٢٢ كتاباً منضمناً قصائد مختلفة . فلما اطلع الملك على هذا الكتاب اعجب به ومنح مؤلفه الف فرنك من جيبه الخاص . وكانت المكاتبات في اثناء ذلك دائرة بين فيكتور وحبيبته ادال . وقد نشرت رسائلها منذ مدة في كتاب عنوانه « رسائل الى الخطيبة » وكله كلام ارق من النسيم واحلى من الشهد . وكفى ان يقال انه من فيكتور هيغو وتلك النفس اللطيفة التي ملأها من روحه . فلما رأى ابو ادال عند صدور الكتاب الذي تقدم ان الملك يعطف على فيكتور هيغو ويساعده سقطت معارضته في هذا الزواج وعلم ان لصره مستقبلاً عظيماً . فكانت خطبة فيكتور هيغو لادال غاية غاياته واقصى امانيه . وقد كتب ابو ادال الى ابي فيكتور هيغو يحببه الى ما طلبه من تزويج ابنه بابنته وقال له في هذا الكتاب انه من سوء حظي لا يستطيع ان يمنح ابنته من الدوطة الا ما قيمته ثلاثة الاف فرنك من الاثاث . وانه سيخلي للعروسين قسماً في منزله يعيشان فيه بجانبه الى ان يصير فيكتور قادراً على الاستقلال في منزل وحده . وكان ابو فيكتور هيغو يومئذ في حاجة ايضاً وهو يطلب من لجنة التعويضات العسكرية النظر في ما يستحق من

التعويض عن الخسائر التي أصابته بعد حروب نابوليون . ولما اقترن فيكتور هيغو بحبيبته ادال جاءه ناشر كتابه وودع اليه سبعة فرنك وهي ربحه من الكتاب الذي تقدم ذكره فابتاع العريس بهذا المبلغ لعروسته شالاً كشميراً . وهذه كانت هدية زواجه وكل ثروته وبعد الزواج اكب هيغو على الكتابة لعله انها موردده الوحيد وسلم ارتقائه في المستقبل . ولم يعقه زواجه عن النفرغ الى عمله . فنشر اولاً رواية « هانديسلاند » دون ان يضع عليها اسمه . وموضوع هذه الرواية تمثيل الهول الانساني وحب الانتقام الفظيع اعظم تمثيل . وقد تحدى فيها الكاتب الانكليزي ولتر سكوت لانه كان كثير المطالعة لكتبه . وفي العام الذي صدرت فيه هذه الرواية صدر امر الملك بتعيين راتب سنوي له قدره الفا فرنك . فنذ هذا الحين تنفس فيكتور هيغو الصعداء وزاد انصباباً على عمله

* الحرب الادبية * وفي هذه الاثناء تالف في باريز حول اسم فيكتور هيغو حزبان كبيران يصح ان يسميا حزب القديم وحزب الجديد . اما الفرنسيون فانهم يسمونها حزب الكلاسيك وحزب الرومانتيك . ومعنى الكلاسيك هنا الحزب الذي يوجب على الكتاب اتباع من تقدمهم من مؤلفي اليونان والرومان والفرنسويين وعدم الخروج عن قواعدهم المقررة . ومعنى الرومانتيك الحزب الذي يوجب تقديم قواعد الطبيعة على كل القواعد القديمة والحديثة . فاذا كتب فهو يكتب كما تملي عليه طبيعة الاشياء التي يكتب عنها . بصرف النظر عن قواعد المتقدمين . وربما جاز ان يسمي الحزبان حزب « الاتباع » وحزب « الابتداء » او حزب التقليد وحزب الاستقلال

رئاسته حزب الابتداء .

وكان فيكتور هيغو زعيماً لحزب الابتداء . ولا عجب في ذلك فان طبيعته التي سمت عن طبيعة كل شاعر فرنسوي قبله وبعده لجديرة بان لا تجد في من تقدمها شيئاً نقلده وان ترى بيصيرتها النيرة الفراغ الواسع الذي كان في اللغة الفرنسية وكان حزب « الاتباع » بياهي براسين وكورنيل وغيرهما من مؤلفي قرن لويس الرابع عشر . اما حزب « الابتداء » فيرد عليه بقوله ان المؤلفين الذين نبغوا في ذلك القرن كانت كتاباتهم عبارة عن صورة منعكسة عن هيئة قديمة مبنية على العبودية الادبية والسياسية والاجتماعية . اما اليوم فيجب نبذ تلك الطريقة القديمة وجعل الكتابة في هذا العصر سهلة مطلقة ومنطبقة على حاجاته ومقتضياته . فاصطلت نيران النزاع بين الفريقين وكان الخلاف شديداً حتى

انه لم يبق كاتب ولا شاعر الا انضم اليهما . وكثيرون من كتاب الفرنسيين ذكروا في الايام الاخيرة تلك الحرب الادبية فقالوا : سقياً لعصر يصرف اهله همهم الى تعزيز آرائهم الادبية ويقفون حياتهم لنشرها لا ان يجعلوا همهم مصروفاً الى جمع المال للتنوع بملاذ الحياة كما يصنعون في هذا العصر . ولا ريب ان العصر الاول يُثر ثماراً عظيمة ادبية واجتماعية يكون من ورائها ارتقاء البشر وتحسين الحياة في الارض . واما العصر الثاني فلا يُثر الا شهوات ومطامع وازدحاماً وحشياً على الرزق وانانية شرسة تقوي الحيوانية في البشر وتضعف الانسانية

فرغبة في الانتصار لحزب الابتداع انشأ فيكتور هيغو في سنة ١٨٢٣ مع بعض اصدقائه من الشباب جريدة « القرينة الفرنسية » فدوت حينئذ في قاعات السيدات والسهرات والاندية العمومية والخصوصية صدى الخلاف بين الحزب القديم والحزب الجديد واشتد النزاع بين الفريقين ولكنه لم يكن قد بلغ اشده . وفي هذا العام صالح فيكتور هيغو اباه ونشر في جريدته قصيدة عنوانها « قصيدة الى ابي » ، الا انه اقل هذه الجريدة في العام التالي لينقطع الى التاليف والنظم . وفي هذا العام منح هو والشاعر لامارتين المشهور وسام جوقة الشرف من درجة شفالیه وحضر معه حفلة لتوزيع الملك شارل العاشر وقد نظم قصيدة في ذلك . وكان فيكتور حينئذ على وفاق تام مع لامارتين وقد زاره في سان بوانت ونزل ضيفاً عنده . الا انها بعد ذلك تقاطعا « للعداوة الحانونية » كما جاء في المثل الافرنجي « او لعداوة الصناعة » كما جاء في المثل العربي . وبشت هذه العداوة ولما انقطع فيكتور هيغو الى التاليف نشر رواية عنوانها « بوك جاركال » ثم نشر منظومات عنوانها بالفرنسية « اود وبالاد » فكان لهذه المنظومات تاثير عظيم . ثم نشر كتاب « كرومويل » وفيها مقدمة شديدة قطع فيها كل صلة لحزبه مع الحزب القديم . ومما قاله فيها ان حوادث الروايات يجب ان تكون كحوادث الحياة مختلفة متنوعة فليس يجب فيها مراعاة وحدة السياق ولا وحدة الزمان والمكان لان ذلك يخلق حوادثها خنقاً . ثم حمل في المقدمة حملة شديدة على ما في مؤلفات الحزب القديم من الجفاف والجمود والخروج عن الطبيعة بسبب القيود الغريبة التي ينقيدون بها

الشريقات ولبلة هرناني المشهورة

فكان لهذه المقدمة تاثير عظيم على الحزب القديم لانه اعتبرها بمثابة اعلان للحرب فعزموا على مقاومة هيغو واي مقاومة . وفي عام ١٨٢٨ مثل هيغو رواية « أمي روبسار » فحضر

حزب القديم التمثيل ولبت يصفر ويضحك كل الوقت فاضطرت ادارة التمثيل في اليوم التالي ان تبطل تمثيل هذه الرواية . وفي العام التالي نشر هيغو « الشرقيات » وكلها قصائد يصف بها الشرق واحواله وسنعود الى هذا الديوان في فرصة اخرى . فلما نُشرت « الشرقيات » (وقد كاد القلم يكتب « الشوقيات ») ارتاح اليها الجمهور الفرنسي اشد ارتياح لان ناظمها صور الشرق فيها تصويراً راه الغريون جيداً جميلاً . وبعد ذلك نشر كتابه « اليوم الاخير لرجل حُكم عليه بالاعدام » وفيه اُحج على عقاب الاعدام لانه كان من اشد المعارضين فيه . وفي عام ١٨٢٩ رام تمثيل رواية عنوانها « ماريون ديلورم » فمنعه قلم المراقبة من ذلك لما ورد فيها عن لويس الثالث عشر . ومن حسن حظه انه كان قد الف رواية « هرنافي » ايضاً فدفعها الى التمثيل تعويضاً عما فاتته . فسعى انصار الحزب القديم لدى الملك شارل العاشر لمنع تمثيلها فاجابهم الملك « انني في مسألة الروايات رجل مثلكم ما علي الا مشاهدتها » . وفي الليلة التي مُثلت فيها هذه الرواية قامت قيامة الناس في قاعة الملعب . فقد حضر الى هذه القاعة اربعائة شاب من الحزب الجديد وكثيرون من الحزب القديم . الاولون للنصفيق والاستحسان والآخرون للنصفي والضحك والاستهجان . وكان كل فريق عازماً على انفاذ غرضه وان افضى الامر الى الضرب . فحدث حينئذ في القاعة حادث في غاية الغرابة . فانه لما كان بطل الرواية يقول اقواله البديعة كان الحزب الجديد يصفق تصفيقاً يرتج له المكاث ويصبح برافو برافو بينما كان الحزب القديم يصفر ويضحك ويصرخ صراخ الاستهجان . وقد قص الكاتب المشهور سنت بوف هذه القصة فقال ان الاستحسان كان اشد من الاستهجان فان رواية هرنافي ضعفت مبدأ الكلاسيك ودفعت مبدأ الرومانتيك مائة خطوة الى الامام . وقد مُثلت هذه الرواية ٤٥ مرة في سنة ١٨٣٠ وحدها وبها فازت الطريقة الرومانتيك فوزاً مبيناً

عدة مؤلفات

ومنذ هذا التاريخ صار الجمهور ينتظر مؤلفات هيغو ويعتبر صدور كل واحد من كتبه حادثاً عظيماً . فكتب الكاتب بعد ذلك رواية « كنيسة نوتردام دي باري » ونشرها في عام ١٨٣٠ فقرأها الناس بارتياح شديد . وفي هذا العام ثار شعب باريز على الملك شارل العاشر فاستنقال هذا الملك والتجأ الى انكلترا فاغتم صاحب الترجمة هذه الفرصة وسعى في تمثيل روايته « ماريون ديلورم » التي منع قلم المراقبة تمثيلها في عهده . ثم نشر ديواناً عنوانه « اوراق الخريف » وموضوعه وصف شؤون وعواطف بيتية وصفاً في

غاية الرفقة والانسجام . وفي عام ١٨٣٢ عاد الى فن التمثيل فوضع رواية « الملك يتسلى » ولكن قام في اثناء تمثيلها بين الحزب القديم والحزب الجديد نزاع شديد اضطر ادارة التياترو الفرنسي الى ابطال تمثيلها . فرجع صاحب الترجمة الى محكمة التجارة قضية على هذه الادارة لابطالها روايته فحسر القضية . فوضع المؤلف بعدها رواية « لوكريس بورجيا » فاصابت نجاحاً عظيماً عوضه ما فاتته في الرواية السابقة وزاد اسمه ارتفاعاً بين المؤلفين . وقد مثلت الممثلة مدام ردوه اهم ادوار هذه الرواية فاحبها هيغو حباً درى به الجميع حتى زوجته ادال المسكنة . فآلمها ذلك وسحق قلبها سحقاً

ثم نشر هيغو في عام ١٨٣٣ « ماري تودور » وتلتها « كلودكو وبحث في ميرابو والنجيلو ظالم دي بادو » ثم تلاها في سنة ١٨٣٥ ديوان « نشيد الشفق » وفي ١٨٣٧ « الاصوات الباطنية » وفي ١٨٣٨ رواية « البورجراف » وفي ١٨٤٠ ديوان « الاشعة والاضلال » فبلغ بها هيغو ارفع منزلة بين شعراء عصره وصار المشار اليه بالبنان . وكان عمره يومئذ ٣٨ سنة . وكان شعب باريز يحوم في كل مساء حول منزله ليشاهده مع انصاره فكان هيغو يخرج الى شرفة منزله لمقابلته . غير ان كثيرين من خصومه كانوا يفضلون عليه شاعراً نسي الفرنسيون اسمه اليوم وهو الشاعر بونسارد وكان بعضهم يقول : تباً لزمّن يجوز فيه لاناكس كهيغو نظم الاشعار

تأثير وحكم المسيو هانوتو عليه

وفي عام ١٨٤٢ وضع صاحب الترجمة كتاباً اسمه « الرين » اقترح فيه رغبة في استواء ميزان السياسة في اوربا ان تقسم ممالكها بين فرنسا وبروسيا . وبعد ذلك بقليل دخل الى ميدان السياسة . وبما اننا وصلنا الآن الى اهم الادوار في ترجمة صاحب الترجمة فقد وجب ان نضع لذلك تمهيداً سياسياً وجيزاً . غير اننا قبل ذلك نختم الكلام عن الحرب الاديبة التي اثار غبارها على كتاب زمانه بقولنا ان فيكتور هيغو قد احيى في فرنسا فن تاليف الروايات وتمثيلها لانه منح الملاعب الفرنسية حريتها المطلقة وفكها من قيد وحدة السياق ووحدة الزمان والمكان الذي كانت تثقيد به قبله . وقد بث في لغتها روحاً طبعياً جديداً احيى به فن الشعر وغير طريقة الكتابة والتاليف . ولذلك قال المسيو هانوتو في الخطاب الذي تلاه في يوم الاحفال العظيم الذي اقيم له في البانتيون في الشهر الماضي من قبل الاكاديمية الفرنسية الذي كان مديرها في هذا العام « اذا حلت بمؤلفات فيكتور هيغو مصيبة افنتها وذهبت بها فان اثره لا يذهب بذهابها لان التأثير الذي كان له على اللغة

الفرنسوية يبقى فيها ما بقيت هذه اللغة في حيز الوجود « وكفى بذلك ثناء على عمل هيغو الادبي . فلننظر الآن في عمله السياسي

* الحرب السياسية * وتمهيداً لذلك نذكر لمحة من تاريخ فرنسا منذ الثورة انتماء للفائدة وايضاحاً للحوادث التي سيرد ذكرها

تاريخ ٤٠ عاماً

بعد اعدام الملك لويس السادس عشر وقيام الجمهورية كما نقص ذلك في روايات (نهضة الاسد و فريسة الاسد) بات الفرنسيون حزبين . حزب الملكية الساقطة وحزب الجمهورية الناهضة . ثم ساد الاضطراب في الدولة لان الجمهورية كانت في دور الطفولية واشتد الاضطراب حتى قام نابوليون الاول واغتصب الحكم واعاد النظام الى الدولة . ولكن نابوليون من سوء حظه وحظ فرنسا ايضاً كان طامعاً لا يهتأ له عيش الا اذا اخضع اوربا كلها فخارب بروسيا والنمسا واطاليا وروسيا واسبانيا وانكثرا فغلبها كلها حتى اضطر اوربا الى الاتحاد عليه وكان قد جاء اجله فانتصرت عليه في وقعة واترلو المشهورة . ولما سيق نابوليون اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانة اعادت اوربا الى عرش فرنسا الكونت دي بروفنس اخا الملك لويس السادس عشر الذي قتل وقد سمي (لويس الثامن عشر) . اما ابن الملك لويس السادس عشر الذي كان من حقه الملك فان المهاجرين من فرنسا نادوا به بعد مقتل ابيه ملكاً وهو في السجن وسموه لويس السابع عشر . غير انه توفي بعد حين في السجن وبعضهم يزعم ان انصاره خطفوه منه ووضعوا مكانه صبياً خفيف الجسم فبات هذا الصبي بعد حين

ولما تولى الملك لويس الثامن عشر حدث رد فعل في افكار الملكيين فاخذوا يضابقون الحرية العمومية حتى اضطر هذا الملك الى حل البرلمان ارضاءً للجمهوريين الذين كانوا يحركون الافكار عليه . وذلك مما بدل على ان اصطدام الافكار والمبادئ بين الملكيين والجمهوريين كان مستمراً ولم يقف ابداً . وقد عاصر فيكتور هيغو هذا الملك كما تقدم . وبعد لويس الثامن عشر ولي شارل العاشر وهو اخوه ايضاً وذلك في عام ١٨٢٤ ولكن الجمهوريين والبنو نابرتيين اثاروا الشعب عليه في عام ١٨٣٠ فتنازل عن الملك ولجأ الى انكثرا . وكان لهذا الملك اخ ثان يدعى فيليب وكان مشهوراً ببيله الى المبادئ الحرة فولاه الشعب الملك وسمي « لويس فيليب » وفي ايامه دخل هيغو الى ميدان السياسة كما تقدم

وكان لويس فيليب يميل الى هيغو ويعجب بمواهبه وقد اهداه رسماً جميلاً يمثل لتوزيع
اينس دي كاسترو . وكان هيغو من المعجبين بمجاذب نابوليون الاول وقد نشر في عام
١٨٤٠ ديواناً عنوانه « قصائد عن نابوليون » فيه ابلغ وصف لعظائم نابوليون وعجائبه
الحرية . فلم يستطع لويس فيليب من ذلك الثناء على خصم اسرته بل رقى ناظمه الى مجلس
النبلاء وجعله عضواً له باسم الفيكونت فيكتور هيغو . وقد اتى فيكتور هيغو في هذا المجلس
عدة خطب في الانتصار لبولونيا والاذن لاسرة بونابرت في العودة الى فرنسا وغير ذلك .
وفي عام ١٨٤٨ ثار شعب باريز على حكومة الملك لويس فيليب لان رئيسها المسيو كيزو
كان واقفاً في وجه كل اصلاح وقد منع بعضاً من انصار حزب الاصلاح من اقامة
اجتماع في المدينة . فتنازل حينئذ الملك لويس فيليب عن الملك لحفيده الكونت دي باري
ولكن الشعب رفض ذلك والف حكومة وقتية نادت مرة ثانية بالجمهورية . وهي الجمهورية الثانية
وكان فيكتور هيغو في اثناء ذلك من حزب اليمين اي المالكين الا ان كتاباته
يومئذ كانت تدل على دخول روح حرجيد الى نفسه . وقد انشأ في هذا العام مع ولديه
شارل وفرنسيو هيغو جريدة سماها « الاثمان » اي الحادثة وانتصر فيها اشد انتصار
للويس بونابرت الذي كان مرشحاً نفسه لرئاسة الجمهورية مع ان لا مارتين كان يعارض
في هذا الامر مع كل الحزب الجمهوري معارضة شديدة . ومن هو لويس بونابرت هذا ؟
هو الرجل الذي اصبح بعد ذلك « الامبراطور نابوليون الثالث » فيالغربة الحوادث البشرية
التي جعلت هيغو يبحث الحكومة على ارجاع اسرة بونابرت الى فرنسا وينتصر لزعيمها الذي طلب
النيابة عن الشعب في مجلس النواب لرئاسة الجمهورية نفسها رغبة في ان يصنع بها ما صنعه
عمه نابوليون الاول — ثم ينقلب عليه ليهدم العرش الذي ساعده على بناؤه

نفية والصراع بينه وبين نابوليون الثالث

وفي ٢ ديسمبر من عام ١٨٥٢ اغتصب لويس بونابرت الحكم وهو رئيس الجمهورية ليحلب
نفسه امبراطوراً فثار شعب باريز لهذا السبب . ووقف الفيلسوف جول سيمون في قاعة
مدرسة السوربون يصيح من منبر الخطابة : قد داس الدستور ذلك الذي عهد اليه ان
يصونه . فعزل الفيلسوف في اليوم الثاني من وظيفته فتركها غير آسف عليها لانتصاره
للحق ودستور الدولة . اما فيكتور هيغو فان روحاً جديداً دب يومئذ في نفسه . فقد
تمثلت له الجمهورية فتاة ضعيفة جاءها رجل قوي وقتلها فقام في نفسه في الحال ان ينتصر
للضعيف ضد القوي . ومنذ هذا الحين صار جمهورياً بحتاً واصبح اشد الجمهوريين انتصاراً للحرية

وقد ذكر جول سيمون في كتاب له صدر في هذا العام وموضوعه تاريخ حياته ان فيكتور هيغو التقى به في اثناء هذه الثورة وقال له هل تظن اذا جعلت الجنود يقتلونني ان الطلبة يثرون ثورة واحدة انتصاراً لي . فاجابه جول سيمون لاريب في ذلك عندي . فقال فيكتور هيغو سارى . ثم سار الى حي الطلبة . فسال احد الواقفين جول سيمون هل تظنه يقتل نفسه فاجاب هذا الاستاذ الكبير الذي خبر كل شؤون الحياة : ربما ولكن حي الطلبة بعيد من هنا

وقد حاول فيكتور هيغو اثارة الشعب في ذلك اليوم ثورة تسقط المعتصب عن عرشه فلم يستطع ذلك مع ما نشره من المنشورات والمخاطبات للامة . فلما تحقق ارتخاء عزائم الشعب وخيبة مساعيه رام السفر الى بلجيكا فارسل اليه نابوليون الثالث سيدة تقول له : ما رايك في مصالحة الامبراطور . فاجاب صاحب الترجمة انه لا يصلح . فقالت له وان فتحت الان هذا الباب ودخل منه الامبراطور الى بيتك فماذا نقول له . فاجاب اقول له انك في بيتك ثم انني اخرج واذهب في سبيلي

وفي ١١ ديسمبر من ذلك العام اي بعد مرور تسعة ايام على يوم الاغتناب سافر فيكتور هيغو الى بلجيكا منفياً من وطنه مع كثيرين من الحزب الجمهوري . فاقام في بروكسل واخذ يشغل فيها للانتقام من نابوليون . فساعدته الاحوال في ذلك مساعدة ما قبلها ولا بعدها مساعدة . فقد كان الحزب الجمهوري متفرق الكلمة وهو بحاجة الى نفير يدوي صوته في كل الضائر الحية فينبه الغافلين ويحمس الساهرين وراية عالية تبقى منصوبة بكبرياء وعظمة امام عدو الجمهورية : فكان هيغو ذلك النفير وتلك الراية . وكانت اوربا كلها تنظر الى فرنسا بعين الخيرة والخوف لعودة الامبراطورية البونابرتية اليها . فلما اصدر هيغو من بلجيكا ديوانه « نابوليون الصغير » يعني نابوليون الثالث ترزعزع له العرش الامبراطوري ونحاطفه الناس في اوربا كلها . فضغطت حكومة نابوليون على بلجيكا لئلا تطرد صاحب الترجمة فسنت بلجيكا نظاماً جديداً يقضي بخروجه من بلادها . فنفض صاحب الترجمة عن حذائه غبار الاضطهاد وسار الى جزيرة جرسى الانكليزية مصطحباً ابنته اداو وزوجته ونجليه فرنسوى وشارل فوجد في هذه الجزيرة كثيرين من رفاقه الجمهوريين وهم يشئون فيها جريدة تدعى « الانسان » يطعنون فيها على الامبراطورية طعنات شديدة . فاستقبله هؤلاء الرفاق اكرام استقبال وصار زعماء لهم . ولما استقر به المقام في هذا الملاء اعاد الكرة على نابوليون فنشر ديواناً عنوانه « العقاب » فكان ابلغ ما خطته يد انسان في الطعن على خصم او عدو . وصار

الناس في جميع البلاد المتدنة لا يهتأ لهم عيش الا اذا قراءوا ما يكتبه شاعر الجمهورية عن قاتلها ومغتصب حقها . فادرت هذه الكتب على مؤلفها اخلاف الثروة وهو في منفاه وشت غليل نفسه الشديدة البغض والحب بالانتقام من نابوليون . ولكن نابوليون انتقم منه ايضاً بان جعل حكومة انكلترا تطرده من جرمي فسار الى جزيرة كيرنيزه وابتاع فيها منزلاً جميلاً كان مهملاً لان السكان كانوا يزعمون ان الارواح اتخذته مسكناً لها . واسم هذا المنزل « هوفيل هوس » واليه يحج اليوم كل المعجبين بهذا الشاعر . ومن هذا المنزل صدرت كثير من كتب المؤلف اهمها « التاملات » و « خرافات القرون الخوالي » « وشكسبير » و « عملة البحر » و « الادب مزوج بالفلسفة » و « اغاني الشوارع والغابات » و « الرجل الضاحك » .

الميزرابل

ولكن اهم هذه المؤلفات كتابه « الاشقياء » او التمساء او البوءساء (الميزرابل) وقد اظهر فيه المؤلف فلسفته وكل قوى نفسه الشعرية والاجتماعية . وموضوع هذه الرواية لص يرفعه المؤلف فيجعله رجلاً كريماً شريف الاخلاق وامراً ساقطة ينهضها المؤلف ويرفع نفسها . ويتخلل ذلك حوادث تاريخية وادبية واجتماعية لم يخط مثلها فلم على قرطاس . وقد كتب المؤلف في مقدمته يقول انه ما دام في الوجود شقاء وفقر وسجون وظلم اجتماعي فان كتاباً ككتابيه بقي نافعا

ولما انتشر هذا الكتاب كان انتشاره حادثاً عظيماً . وقد ارادت حكومة باريز حذف شيء منه لانه طبع في باريز فبعث المؤلف الى ناشره بتوعدها بقوله ابلغهم انهم اذا اصروا على الحذف فاني اعود الى « نابوليون الصغير » و « العقاب » فتركته حينئذ حكومة نابوليون وشانه خوفاً من قله الذي كان مداده الكهرباء وكلماته الصواعق . وقد صار منزل مؤلف هذا الكتاب بعد صدوره مقصداً لاهل العلم والادب والشعر فكانوا يحجون اليه من كل اقطار العالم ليشاهدوا نصير الانسانية ومحامي الضعفاء

انتصاره على نابوليون

وكانوا اذا قالوا له لماذا تصر على ابتعادك عن وطنك فان الامبراطورية صارت في جاه وعز وارتفعت كلمة فرنسا في العالم . فانه كان يجيبهم بقوله انتظروا : فعند صفو الليالي يحدث الكدر . واذا قالوا له ان اصدقاءك يسالمون الامبراطورية واحداً واحداً فانه كان يقول في شعره : ولولم يبق الا واحد اميتاً للحرية فاني ساكون ذلك الواحد . ولما اصدت

الحكومة الفرنسية قراراً بالعفو العام وعودة كل المنفيين الى وطنهم رفض صاحب الترجمة قبول هذا العفو والعودة الى وطنه قبل ان تعود الحرب اليه . وكان يصرف اكثر اوقاته على شواطئ جزيرة كيرنيزه بين الرمال والصخور متأملاً في الطبيعة ودارساً عناصرها ومناجياً نفسه بالمواضيع التي يروم التأليف فيها . وقد اقام في منفاه نحو ٢٠ عاماً

ولان نابوليون الثالث فاز في سياسته ولم يدفع فرنسا الى محاربة المانيا لما انتصر هيكو عليه ذلك الانتصار الهائل ولما كان لصوته الصدى الذي له الآن . ولكن نابوليون كان قد سكر بخمر الفوز ورأى اوروبا كلها تحت يده فرام ان يحدوا حذو عمه . فخاربه الالمانيون في سنة ١٨٧٠ واسروه في واقعة سيدان ونادى الشعب في باريز بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية . فلما سمع صاحب الترجمة بذلك اسرع الى باريز قبل ان يحصرها العدو فدخل اليها باحتفال عظيم . وقد كان دخوله اليها دخول نبى تنبأ « بعقاب » المعتصب وسقوط عمله فصدقت نبوءته . وما زاده رفعة انه كان من اكبر المساعدين على هذا السقوط لان قصائده المملوءة تهكماً هائلاً وطعنات قاتلاً كانت تصغر نابوليون في عيون اوروبا وفرنسا معاً وتضحك الناس منه ضحكاً مثابحاً تنضعض له اقوى العروش واسماها . وهكذا انتصر هذا الشاعر في حربه السياسية كما انتصر في حربه الادبية

هيو في الحرب وبعدها

ولما عاد صاحب الترجمة الى باريز وحصرها العدو صار نقطة دائرة الادب واصبح صوته نفيراً رناناً يث الحياة والحارة في نفوس المحصورين ويحثهم على الحرب والمقاومة . وكان ينشر القصيدة بعد القصيدة في هذا الموضوع . وبعد الحرب جمع هذه القصائد فتألف منها ديوانه « السنة الهائلة » . وفي اثناء الحصار اعد طبع كتابه « العقاب » وخصص ايراده بصنع المدافع للاستمرار في الحرب ومساعدة المستشفيات . فكانه كان يومئذ حياة باريز وروحها يحث على الدفاع عنها الى آخر نسمة من حياته . وبعد سقوط باريز في يد العدو ثار الشعب على الحكومة الجمهورية الوقتية التي تألفت يومئذ لانه كان في رية من اخلاصها للحرية بسبب ما كان يراه من مؤامرات الحزب الامبراطوري والملكي . وهذه الثورة تعرف في تاريخهم بثورة « الكومون » وقد استولى الشعب فيها على باريز وحارب الحكومة وكانت قد فرت منه برئاسة المسيو تيرس الى فرساليا فجرت الدماء انهاراً من الفريقين . اما فيكتور هيكو فانه رمى بنفسه بين الحزبين فعارض حزب الكومون في ما قرره من هدم عمود فندوم الذي كان قائماً عليه تمثال نابوليون الاول وحثه على ترك الفظائع

وعارض حزب الحكومة لما رأى جنودها تفتك برجال الكومون كأنهم اعداء في ساحة حرب لا ابناء وطن واحد . ثم انتخب الشعب في باريز صاحب الترجمة عضواً في مجلس النواب الذي كان مجتمعاً في بوردو فعارض هيكو في عقد الصلح وأصرّ مع غميتا على وجوب الاستمرار في محاربة الالمانيين . وبينما كان في ذات يوم يحطّب في المجلس ويمدح غاريبالدي الايطالي قطع كلامه الحزب الامبراطوري والملكي غير مرة وكادوا يمنعونه من الكلام بضوائهم فاستقال يومئذ من المجلس

وفي عام ١٨٧٢ انشاء مع ابنه فرنسوي جريدة ديموقراطية سماها « الشعب الملك » . وفي عام ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ فالتقى فيه خطبة دافع بها عن رجال الكومون . ثم انصرف الى النظم والتأليف . فنشر الكتب التالية « الاقوال والاعمال » وقد قصد به ذكر المبادئ التي تقلب بينها في اثناء حياته الادبية والسياسية ليبرىء نفسه بسبب انجازه الى الجمهورية . و « سنة ٩٣ » وموضوعه وصف في غاية السمو لاهم ادوار الثورة الفرنسية . و « كيف تكون جداً » وهو يتضمن قصائد عيالية ورد فيها وصف حفيده جورج وحفيدته جانّ اللذين كان يلاعبهما وقد خلد اسمهما بهذا الوصف وهذه الملاعبة . ولا يزال الآن جورج في قيد الحياة وقد كتب قبل الاحتفال الذي اقيم لجده في الشهر الماضي مقالة في احدى الجرائد الفرنسية ذكر فيها كيف كان جده يلاعبه هو وشقيقته جانّ وكيف كانوا ينادونه « بابابا » . وقد حضرت اخته جانّ الاحتفال بعيد جدها فكان الناس يقولون عند رؤيتها هذا جورج وهذه جانّ اللذين وصفهما شاعرنا . فلا ريب انها كانا في ذلك اليوم حبيبتين الى كل القلوب

وفي عام ١٨٧٧ نشر صاحب الترجمة « تاريخ جنابة » يريد جنابة اغتصاب نابوليون الثالث للملك . وقد نشر هذا الكتاب قبيل الانتخاب العمومي ليؤثر على الراي العام ويذكره بالاغتصاب فينتخب للنيابة الجمهوريين دون سواهم . فكان لهذا الكتاب دوي عظيم في فرنسا واوربا . ثم نشر من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٣ « خطب فولتير » و « ملك الجمهور » و « البابا » و « الشفقة العليا » و « الحمار » و « الديانة والديانات » و « اربع جوانب العقل » و « توركاذه » و « ارخبيل المانش »

احتفال الشعب بحياته وماته

وفي عام ١٨٨٢ بالغ صاحب الترجمة الثمانين من عمره . فقامت باريز وقعدت في ذلك اليوم احتفالاً بهذا العيد . فان خمسمائة الف نفس من الشعب توافدوا من جوانب باريز

الاربعة على نغم الآلات الموسيقية الى منزل هذا الشيخ الجليل . وكانوا ينادون بعضهم بعضاً في الطرق هلموا هلموا الى معايدة « الاب هيكو » . فلما اطلّ جمعهم على منزله سعد الشيخ الجليل الى شرفة المنزل مع حفيديه جاك وجان وحينئذ حدث حادث لم تر مثله عينان ولم تسمع به اذانان . فان الوقا من الشعب رفعت في الفضاء ايديها كغابات مشتبكة هاتفة « فليجي الاب هيكو » وهيكيويكي وهو واقف على الشرفة بين حفيديه ويشير مسلماً ومرسلاً اليهم القبلات العديدة . وقد استمر واقفاً هنالك نحو ساعة والالوف تسير امامه على نغم الموسيقى وتجدد الهتاف له . ولم يكن هذا العيد عيد هيكو ولكنه كان عيد امتزاج روح الشعب بالعقل العظيم والقلب الكريم الذي وقف نفسه لخدمة بني جنسه

ولم تحفل به باريز يومئذ ذلك الاحتفال الذي لا يزال له تاثير الى اليوم في نفوس اهله الا لان الشيخ هيغو اصبح في ذلك الزمن روح عصره وشيخ الحرية وملاك الانسانية . وكانت الحيوانية التي املت عليه ذلك البغض الشديد ل نابوليون الثالث وحكومته قد افلتت من جسمه بعد الانتصار وبلوغه اقصى حدود الشيخوخة كما يفلت الماء مشبخرًا من القدر المنصوبة على النار . ولم يبق في ذلك الهيكل الضخم الذي كان يكمله تاج من الشيب الجليل المهيّب كانه قمة شامخة من قم حملايا او الالب سوى الانسانية الرقيقة الشفوقة التي تذوب حنانًا وشفقة على مصائب البشر وتعاستهم . ففي هذا الزمن كان هيغو يقول في شعره « بارك الله في من يحبني وفي من يبغضني » وايضاً « لو وقع في يدي من يروم اضطهادي ونفي لاحسن اليه وعطف عليه . ولو كنت يسوع المسيح لانتقدت يهوذا الاسخريوطي » وبناءً عليه كان هيغو بمثابة جد واب لابناء عصره بل كان بمثابة اثر جليل من عصر تاريخي قديم . وكانوا يسمونه « الاب » من فرط احترامهم له وكان منزله في باريز كعبة يحج اليها اهل العلم والسياسة والادب من كل اقطار العالم .

وفي عام ١٨٨٥ بلغ الشيخ هيغو اقصى حدود الشيخوخة فلما دنا اجله اقام اثنين من اصدقائه لتنفيذ وصيته ونشر ما بقي غير منشور من مؤلفاته . وكان من جملة ما اوصى به ان يدفن في نعش الفقراء ليحل نفسه قريباً من الشعب في وفاته كما كان قريباً منه وخادماً له في حياته . وقد اقام هيغو ثمانية ايام في النزح . ولما اتم انفاسه ونودي في العالم ان فيكتور هيغو فرجيل المتأخرين وهو ميرالفرانسويين قد مات قامت فرنسا قومة واحدة الى منزله . وبكى الشعب وفاة « ابيه » والشعراء وفاة زعيمهم . واوفدت الحكومات الاوربية والمجامع العلمية والادبية وفوداً لحضور جنازته . فشيعت جثة الفقيد العظيم على نعش الفقراء

الى البانثيون وسط زحام هائل لم يسبق له مثيل . وكان لسان حال كل واحد من مشيعيه ينشد ما قاله جناب شوقي بك فيه

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت	للعالمين مدارك وشعور
ولئن حجت فانت في نظر الورى	كالنجم لم ير منه الا النور
لولا التقى لفتح قبرك للملا	وسألت اين السيد المقبور
ولقلت يا قوم انظروا انجيلكم	هل فيه من قلم الفقيد سطور
من بعده ملك البيان فعندكم	تاج فقدتم ربه وسرير
مات القريض بموت هيغو وانقضى	ملك البيان فانتم جمهور
فقدت وجوه الكائنات مصورا	نزل الكلام عليه والتصوير
كشف الغطاء له فكل عبارة	في طيها للقارئ ضمير
مسلي الحزين بفكه من حزنه	ويرده الله وهو قرير
ثار الملوك وظل عند ابائه	يرجو ويأمل عفوه المثلور
واعار وانزلو جلال يراعه	فخلال ذك السيف عنه قصير
انت الحقيقة ان تحجب شخصها	فلها على مر الزمان ظهور
ارفع حداد العالمين وعد لهم	كيا يعتد بائس وفقير
وانظر الى البؤساء نظرة راحم	قد كان يسعد جمعهم ويحير
الحال باقية كما صورتها	من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنعيم على حالهما	والحظ يعدل تارة ويجور
ومن القوي على الضعيف مسيطر	ومن الغني على الفقير امير
والنفس عاكفة على شهواتها	تاوى الى احقادها ونشور
والعيش آمال تجده وتنقضي	والموت اصدق والحياة غرور

فكان هذا الاحتفال بآتم الفقيد اعظم احتفال جرى في باريز كما قيل

* احتفال الجمهورية بتذكاره * ولكن بعد انقضاء ١٧ عاماً على ذلك الاحتفال اقيم لفيكتور هيغو احتفال آخر يشبهه . فان الجمهورية الفرنسية قررت في هذا العام الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على هذا الشاعر (لانه ولد في عام ١٨٠٢ كما تقدم) وقد اقامت في ٢٦ فبراير هذا الاحتفال امام قبر الفقيد في البانثيون فحضره كل ذي شهرة في

باريز في العلم والسياسة والرئاسة وفي مقدمتهم وكلاء الدول وفود من النمسا وبلجيكا وايطاليا وغيرها . وقد خطب وزير المعارف في هذه الحفلة امام رئيس الجمهورية فكلل الفقيه بازهار البلاغة والثناء وختم خطبته بقوله : انني باسم الجمهورية الفرنسية احيتك ايها الشاعر العظيم الذي اطلق الفكر البشري وزاد في حريته والبس وطنه رداء المجد وجعل الانسانية اكرم مما كانت واكثر حنانا » — ثم تلاه المسيو هانوتو بالنياحة عن الاكاديمية الفرنسية وقد ذكرنا في اثناء الكلام عن الحرب الادبية في هذه المقالة خلاصة ما قاله في هذه الخطبة عن تأثير هذا الشاعر . انما نقول في هذا المقام ان فيكتور هيغو طلب الدخول في الاكاديمية مرتين قبل نفيه من فرنسا فكانت الاكاديمية يومئذ تفضل عليه اناساً نسي الفرنسيون اسماءهم اليوم . ولم تقبله الا في المرة الثالثة

وفي هذا اليوم الذي حضر فيه رئيس الجمهورية والوزراء والكبراء هذه الحفلة في البانثيون حضروا ايضاً حفلة اقيمت في «ساحة فيكتور هيغو» في باريز امام المنزل الذي كان يسكنه الفقيه في حياته . وفي هذه الحفلة كشف الستار عن التمثال الذي انشأه لفكتور هيغو في هذه الساحة المسماة باسمه . وقد زين المنزل والتمثال اجمل زينة ونصب فوق البيت جسم بلوري يمثل فتاة تحمل بيدها مصباحاً وقد رمزوا بها الى «ملاك الشهرة» وهو يهبط عليه في بيته . وقد انير هذا الجسم في الليل فكان له منظر يسر الالباب

وقد اقيمت في ذلك اليوم احتفالات عظيمة في ايطاليا والنمسا وبلجيكا ومصر وكل المستعمرات والمدن الفرنسية اكراماً لهذا التذكار ايضاً . واشترك في هذه الاحتفالات جميع العالم المتمدن في كل الاقطار . ولم تخل جريدة من جرائد الدنيا في ذلك الاسبوع من الكلام عن صاحب الترجمة

اما المسيون ادمون روستان شاعر فرنسا اليوم فانه صرف ذلك اليوم في قرية «هرنافي» الاسبانية التي سمي هيغو احسن رواياته باسمها وقد تقدم ذكرها في هذه المقالة . وقد نظم في هذه القرية قصيدة طويلة اهداها الى جناب المسيو «بول موريس» صديق فيكتور هيغو ومنفذ وصيته والساعي في انشاء تمثاله . وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة الغولوى اولاً ثم جمعت في كراس على حدة . وفي ختامها يقول هذا الشاعر ما خلاصته «كلنا اليوم تلامذة الاستاذ هيغو . فابسم لنا ايها الاستاذ وامنحنا الثقة بانفسنا لنستطيع ان نجتريء ونمسك القلم بعدك » وقد ذكرنا هذا الخبر لان هذا الثناء اعظم ثناء يقال في فيكتور هيغو

وهذه القصيدة مطبوعة في ٣٠ صفحة على ورق صقيل جميل . ولدنيا منها نسخة واحدة
نقدمها هدية لمن يسبق الى طلبها من حضرات القراء

﴿ ترجمة احدى قصائده ﴾ ولقد ذكرنا موءلفات هيغوين في ما تقدم وبقيت له
موءلفات اخرى كثيرة نشرت بعد وفاته وهي « اطلاق فن التمثيل » و « عاقبة الشيطان »
و « الله » و « اشياء منظورة » و « كل القيثارة » و « الاوقيانوس » و « في السفر »
و « فرنسا وبلجيكا » و « الالب والبيرينه » وغيرها من الموءلفات العديدة التي لم يتم نشرها
الا في هذا العام اذ نشرت فيه خاتمتها وهي ديوان عنوانه « النبئة الاخيرة » . وسنلخص للقراء
في الجزء القادم شيئاً من اهم الكتابات التي كتبها هيغو لاطلاعهم على آرائه وفلسفته
المبنية على المبادئ الانجيلية الاشتراكية . اما الآن فنكتفي بنشر ترجمة احدى قصائده
في نابوليون الاول الذي كان هيغو يحمله بقدر ما كان يحقر نابوليون الثالث كما تقدم . وقد
اتحفنا بهذه القصيدة احد اصدقاء المجلة

نابوليون الاول

ملخصة من قصيدة لفيكتور هيغو صاحب الترجمة بقلم جناب الشاعر الناثر طانيوس افندي عبده المحرر
في جريدة البصر الغراء

ويعظم لي حتى يضيق به صدرى	يُمثل لي حتى يُجسم في فكرى
فالقاء مني فوق مرتبة الفكر	واطلق افكاري ارتياداً لوصفه
فيغلو به شعري ويعلو به قدرى	وانظم فيه الشعر رفعاً لقدره
لقلبي فيمسي في احرق من الجمر	ويحرق مني القلب حين احتلاله
بطعنته النجلاء والفتكة البكر	اراه وقد خاض الصفوف مظفراً
وبني اساس العرش بالبيض والسمر	يشاغل عن بيض وسمر فؤاده
الى الحرب الا تحت الوية النصر	اراه وقد قاد الالوف فما مشى
فيسبق هذا الجيش جيش من الذعر	يسير للاعداء ابطال جيشه
ظاهراً الى مجد عطاش الى نحر	اراه بوادي النيل والجند حوله
مشيراً بيناه الى هرمني مصر	يقول انظروا الادهار ترنو اليكم
ولم يتأدى بعد في حلبة العمر	اراه وقد اضحى بباريس فنصلاً

يؤيد جمهورية القوم ظاهراً
 اراه مليكاً لم يخف جور دهره
 يقد تيجاناً وينشي ممالكاً
 اراه ولا كفران تبسط نفسه
 فلم يبق ما بين السماء وتاجه
 اراه اسيراً في بقاع جزيرة
 مقبلاً على صخر يرى عرشه وقد
 فلما دعا داعي الموت ومثلت
 واطفاً ريب الدهر انوار نوحه
 وفكر في ماضيه دون ندامة
 وحدق بالاكفان لم ير فوقها
 جرت دمة من عينه وهو مطرق
 ولم يك هذا الدمع الا لانه
 ولم يكن الا طراق الاعامياً
 فلم يعجب التاريخ في صفحاته
 ولم اره فيما مضى من جلاله

ويهدمها كي يبلغ الملك بالسر
 وقد كان يخشى ان يحور على الدهر
 وينظر بساماً لكونه الدرسي
 له فتح ابواب السماوات بالفسر
 باعين اصحاب المجاز سوى فتر
 تسامت به حتى غدت ربة البحر
 تصدع لما لم يؤسس على صخر
 لعينيه اشباح الردى هوة القبر
 وقصت يداه جانحي ذلك النسر
 ولم يخش في الآتي عقاباً على وزر
 سلاحاً ينيل الفتح في موقف الحشر
 فكانت لافلام التواريخ كالخبر
 تمنى الردى ما بين عسكره المجر
 عن الناس حتى لا يرى اثر الغدر
 باخلق من هذا المخلد بالذكر
 باعظم منه حين قيد بالاسر

الخاتمة

قول يهدي الى شعراء الشرق وكتابه وامهاته .

ولقد طالت هذه المقالة فوق ما كنا نريد فترتب علينا الآن ان نختتم الكلام بقول

فيه تمام الفائدة فنقول

بماذا امتاز فيكتور هيغو عن اقرانه حتى استحق ذلك المجد العظيم الذي لبس تاجه ؟
 الجواب انه امتاز بعدة امور . اولاً انه موهب مواهب خصوصية كانت تجعله اذا مسح
 احقر المواضيع صيره سامياً رفيعاً فكانه ساحر يتناول التراب فيجعله تبراً . ثانياً انه غاش
 في وسط ادبي كان محتاجاً الى مثله فاحي اللغة الفرنسية بما ادخله اليها من التعابير
 والاساليب الجديدة وفك التمثيل من قيده كما تقدم بيانه . ثالثاً ان آمال الجمهوريين
 كلها قد تجسست فيه ولما انتصرت الجمهورية بعد ذلك عد انتصارها انتصاراً له وكان

نغيرها الاعلى . رابعاً ان الالمانيين اسقطوا فرنسا في زمنه واستولوا على باريز بعد سقوط الامبراطورية فصارَت فرنسا في ضعة وصغار بعد عزها ومجدها ولم يبق لها شيء كبير تفاخر به العالم غير « الشاعر هيغو » الذي كانت جميع الانظار في جميع الافطار شاخصة اليه تنتظر كلامه السحري ونظمه الدري . فكان كل عظمة فرنسا الماضية اجتمعت يومئذ في نفسه . خامساً ان فلسفة هيغو مبنية على حب الانسانية ومساعدة الضعفاء والرفق بالشعب واعتباره انه الانسانية الحقيقية . وحسبنا شاهداً على ذلك كتابه « الميز رابل » الذي هوام كسبه فانه عبارة عن وصف الشعب واطراء صفاته الطبيعية . ولذلك كانت ميادى هيغو عامة لكل شعب من الشعوب وشديدة التأثير في كل امة من الامم لان كل واحدة منها تظن عند الاطلاع عليها ان هيغو انما كتبها من اجلها . فكانه كان يخاطب الانسانية كلها لا فرنسا وحدها

هذه اخص مزايا هذا الرجل العظيم ولكن كل هذه المزايا صغيرة في رايها بالقياس الى مزية لم تُشر بعد اليها . وهذه المزية هي « صبره على العمل وانصابه على التأليف والنظم ستين عاماً بلا انقطاع ولا تعب ولا ملل »

ولقد عددنا في هذه المقالة كل مؤلفات فيكتور هيغو في حينها فتعقبها الآن واحصاها وقل لنا ماذا يظهر لك منها ؟ يظهر لك ان هذا الكاتب كتب مدة ستين عاماً وكان ينشر كتاباً من تأليفه في كل سنة تقريباً . اي انه كان يصرف كل اوقاته في المطالعة والكتابة والنظم ولم يكن له لذة في غيرها . فتارة ياخذ كتابه ويطوف شوارع باريز واطرافها متاملاً متفكراً في الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه . ذلك لانه كان كثير الطلب للهواء النقي والخلاء ولولا ذلك لقتله عمله العقلي الطويل مع ما تقدم من نخافة جسمه في بدء عمره . وطوراً يجلس الى مائدته خمس ساعات او سبع ساعات متتابعة وهو يسود صفحات الورق الابيض امامه بقلم يخط سحراً ويبرز تبراً ثم يلقاها وراء ظهره على الارض واحدة وراء اخرى . وكان لا يترك حادثة من حوادث زمنه الا وينشب اظفاره الاسدية فيها حتى صارت مجموعة مؤلفاته عبارة عن تاريخ القرن الذي عاش فيه . وكان فوق ذلك اذا هبط الليل شرع في المطالعة . وقد يكون مستغرقاً في نومه بعد منتصف الليل فينتبه ويقوم الى فريدة يكون قد بدأ بها او خاطر جديد . وفي باله فينهض لتقييده . ومن ذلك يظهر ان المواهب لا تكني الانسان ان لم تكن مقرونة بالصبر على العمل والجد فيه وقوة الارادة عليه وهو ما يسميه بعضهم « بالثبات »

فهذا الجد الغريب والجهد العجيب بذكرنا بالرغم عنا حالة كتاب الشرق وشعرائه ومن اجل ذلك وضعنا هذه الخاتمة . وانما نذكرهم لا لنظهر الفرق بينهم وبين نوابغ الغرب وانما لنذكرهم بالداء الذي اضعف جميع المواهب التي ظهرت في بلادهم وغادرها كانوا لم تكن شيئاً مذكوراً . وهذا الداء هو ما تقدم ذكره من عدم الصبر على التعب وخلود كل عامل الى الكسل بعد اكتسابه شيئاً من الشهرة وتركه العمل الشاق لانه يقتضي جهداً وعناءً مع معرفته « بان الوصول لا يكون الا بهذه الاصول » كما يقول كتاب العرب . وكفانا ان نستشهد الآن على هذا القول بمحضرات الشاعرين احمد بك شوقي وحافظ افندي ابراهيم . وانما نخصهما بهذا الاستشهاد لانها احب الشعراء الى الجمهور . فنسألها بلسان هذا الجمهور الذي يحبهما ويهتئ طرباً لاقوالها باي شيء يقطعان اوقانها الآن واين الكتاب المفروض على كل واحد منهما في كل عام

وان قيل ان سوق الادب كاسدة ولذلك لا يوء لفان ولا يترجمان فنحن نرد على ذلك بان فيكتور هيغو لم يكن يرجح من ديوانه في بدء امره اكثر من ٧٠٠ فرنك كما تقدم . ونحن الضامنون ان اية مطبعة من المطابع التي تنشر الكتب تبتاع الآن من حافظ افندي او شوقي بك الديوان الجديد بسبعائة فرنك على شرط ان يكون منظوماً كما يريد الجمهور وفي المواضيع التي يحبها . وان قالوا ان احوالنا لا تساعد رجالنا نقول ان احوالنا على قدر رجالنا وها هي الحوادث العظمى تحدث وتزدون ان نسمع فيها لاحد صوتا . وان كنا يقولان ان الناس لا يعينهم امرنا فاننا ننظم حيناً نريد ونسكت حيناً نريد فنقول ان كل امة بهمها امر نوابغها كما قال المسيو برانديس في صدر هذه المقالة لانها وصية عليهم وهم لها لا لانفسهم . ولذلك يحق لكل واحد من الجمهور ان يخاطب شاعري مصر بما خاطبها به جناب داوود بك عمون ولكن المعنى آخر غير المعنى الذي اراده

اشوقي أحافظ طال السكوت وترك الامور لاقدارها
فصوغا القوافي مصقولة وشقا الجلود يبتارها
عساها تحرك اوطاننا وتنشر ميت افكارها

ولكن اذا كان حضرة شوقي بك يلتزم السكوت طول العام ولا يرفع صوته فيه الا ثلاث او اربع مرات لتنهئة الجناب الخديوي بوضع قصائد فان حافظ افندي يسعى ويعمل . وقد كتب الينا جنابه منذ مدة يخبرنا انه عرب رواية التمساء (الميزابل) عن فيكتور هيغو وتفضل بان وعد الجامعة بنشر بعض فصوله فيها . فنحن نرحب بكل

ما يكتبه جناب حافظ افندي ولكننا نستغرب ان يكون في يده فيشارة عليها اوتار من اوتار هيغو (اي قلم الشعر) ثم يعدل عنها الى ربابة (اي قلم النثر) فليته يعدل عن النثر الى ما خلق له . بل ليته يلخص « التعساء » شعراً فتكون احسن منها نثراً

وختام الكلام ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء . بل هو ينشئ نفسه بنفسه . وذلك بالصبر على العمل وسهر الليالي فيه وتفضيل لذته على كل لذة وطلبه لذاته لا للمال الذي يأتي عنه ومعرفة ان الشاعر او الكاتب اذا نام على أكاليه كما يقول الافرنج فقد مات وأ مات في نفسه عالماً معه . فالعمل والسهر والتعب : هذه هي عصا السحر التي تضع صبيّاً ضعيفاً فقيراً كهيغو فوق الامبراطرة والملوك . وما خلق البشر في هذه الارض ولا سيما نوابغهم الا للعمل والتعب وخلق مواد جديدة من العدم لا لصرف الاوقات في ما لا يفيد شيئاً . فعسى ان يعتبر نوابغ الشرق بذلك فلا يقتلوا مواهبهم في الكسل والاهمال والملاذ الشبيهة بفقايع الصابون من حيث مرعة زوالها . وهنا نذكر ما قاله وزير التجارة الفرنسية في ختام الخطبة التي القاها يوم افتتاح معرض باريز الماضي « سقياً لك ايها العمل المقدس . يا محرر الانسان ومشرفه ومعزیه . بك يتلاشى الجهل . بك يزول كل شر . بك تحرر الانسانية من نير العبودية والظلام . وترتقي في الآفاق العلوية المنيرة الهادئة التي لا بد ان تبلغها يوماً من الايام »

هذا ما نقوله للمستغلين بالعلم والادب والشعر في الشرق . بقيت لنا كلمة نقولها للامهات وهي ماخوذة عن قصيدة روستان التي مرّ ذكرها وهي : ايها الامهات ابذلن كل ما فين ايديكن وفي نفوسكن لتربية نفوس اولادكن . ولا تهملن ولداً اذ من يعلم متى يموت في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهاً ؟ ومتى اخذتن راس ولدكن بين ايديكن لتقبيله فلا ضغطن عليه كثيراً فانه ربما كان هذا الراس وحده يضمّ عالماً عظيماً

